

سفراء دون اعتماد « مؤلفون عرب »

عبد النبي اصطيّف

يستطيع المتبع للدراسات الاستشراقية في اوروبا ان يقع بسهولة على ظاهرة يمكن ان تعتبر من ابرز مظاهر تصاعد الاهتمام بالدراسات العربية في الغرب ، وهي ظهور عدد من السلاسل التي تعنى بالادب العربي ، تقدمه للقارئ الاوربي ، وترجم روايته ، وتتناوله بالدراسة والتحليل ، مستفيدة من مناهج النقد والدراسة الحديثة ، وما حققته من تقدم في العقود الاخيرة .

ويمكن للمرء ان يشير الى عدد من هذه السلاسل على سبيل المثال فيذكر سلسلة « دراسات في الادب العربي » ، وسلسلة الترجمات : « الترجمة العربية لمجلة الادب العربي » واللتي تصدران عن « مجلة الادب العربي » و « مداخل لدراسة الادب العربي » التي تصدر عن دار فيليبس وأريس . وسلسلة « مؤلفون عرب » والتي تصدرها هيتمان .

وربما كان من أبرز ما تتميز به هذه السلسلة الأخيرة عن غيرها من السلاسل التي ذكرنا بعضها الأمور التالية :

١ - اهتمامها بالادب المعاصر ، وبالتالي كونها أكثر اتصالاً بالواقع العربي بشكل عام ، وبواقع الادب العربي بشكل خاص . فهي تقدم صورة عما وصل اليه هذا الادب من تطور على المستوى الفني الابداعي وتتيح مقارنته بالاداب العالمية الاخرى ، وتظهر درجة وثاقفة الصلة التي تربطه بالمجتمع العربي الذي يواجه تحديات مستمرة ويخضع لعمليات تثير وتطور كبيرين ويجهد في سبيل اللحاق بركب التطور والحضارة اللذين انتقل زمامهما الى غيره .

٢ - عنايتها بالكتابة المبدعة (بفتح الدال) وليس بأي شيء آخر عن الثقافة العربية . أي أن اهتمامها هو اهتمام أدبي صرف . ومعنى هذا أنه غير مشوب بأية غايات أخرى . وهو يقود الى اعتماد معيار أساسي في اختيار المادة المترجمة ، وهو مستواها الفني ليس غير . لان استجابة القارئ الاوربي لهذا الادب هامة جدا ، من أجل نجاح السلسلة على المستوى الادبي من ناحية ، ومن أجل تحقيق مبيعات كافية وريح كاف يمكنان من متابعتها من جهة أخرى . والحقيقة أن هذا الامر على غاية من الاهمية ، لان النظرة الاستشراقية للادب العربي كانت الى عهد قريب نظرة مفرضة ، بمعنى أنها كانت - وربما مازال جزء هام منها - تعنى بالادب والنصوص الادبية عناية تستمد أسسها ودوافعها من معايير غير أدبية على الاطلاق . وقد قاد هذا الى اعطاء صورة مشوهة حقا عن الادب العربي كأدب يمكن ان ينهض للمقارنة مع غيره من الاداب الاخرى .

٣ - توجيهها نحو القارئ العادي - وليس القارئ المتخصص بالدراسات العربية ، مع أن هذا الاخير يمكن أن يفيد منها لانها تتيح له الحصول على نصوص أدبية مترجمة من قبل اناس متخصصين وقادرين ،

وبالتالي تسهل عليه عملية دراسة هذا الادب باعقائها له من القيام بترجمة ما يدرسه ، خاصة وان الترجمة كفاءة ومقدرة ، وهي بحاجة الى جهد ووقت كبيرين من ناحية ، والى استعدادات قد لا تتوفر لاي دارس .

وتوجه هذه السلسلة الى القارئ العام غير المتسلح بنظرة مسبقة عن الادب العربي هام جدا ، لان الاهتمام الذي يمكن ان تلقاه منه يمكن ان يكون مؤشرا حقيقيا على مستوى هذا الادب ، ومدى قدرته كأدب على استثارة الاستجابات الانسانية بشكل عام ، لان اهتمامه كقارئ ينطلق من ارضاء هذا الادب لحاجاته النفسية والفنية وكأدب بالدرجة الاولى ، وليس من أي منطلق آخر .

٤ - صدورها في طبعات شعبية رخيصة نسبيا :

تتراوح اسعارها بين الجنيه الواحد والجنيهين ، وهو سعر رخيص نسبي اذا ما قيس بأسعار الكتب بشكل عام في دولة كالمملكة المتحدة او غيرها من دول الغرب . وهي بهذا تيسر اقتناءها على القارئ العادي والمختص . مما لانها لا تكلفه الكثير ، وكذلك فان صدورها في قياس صغير بحجم كتاب الجيب يسهل اصطحابها وقراءتها في الحافلات والاماكن العامة . وبالطبع فان الحديث عن هذا الامر ربما بدا غريبا ، لان عادة الافادة من اوقات السفر في القطارات او الحافلات عادة غير مألوفة نسبيا في الاقطار العربية ، ولكنها تكاد تكون جزءا من المناظر المألوفة جدا في أي بلد اوروبي . حيث غدا اصطحاب الكتاب وقراءته في اوقات الانتظار والسفر من الامور اليومية .

٥ - صدورها عن دار نشر كبرى هي دار هينمان :

والتي تتخذ لندن مركزا لها ، ولها فروع عديدة في اوربا ، وأمريكا ، وأفريقيا واسيا ، واستراليا وغيرها (في كل من أدنبره ، وميلبورن ، وأوكلاوند ، تورنتو ، ولينغ ستون ، وهونغ كونغ ، وسنغافورة ،

وكوالمبور ، ونيودلهي ، وعبدان ، ونيروبي ، ولوساكا) وبالطبع فان هذا ييسر عملية توزيع منشوراتها الى حد بعيد ، وبالتالي يتيح الاطلاع لأكبر عدد ممكن من القراء من جنسيات وشعوب مختلفة عليها . وهذا يوسع من مساحة القراء والمهتمين بالادب العربي ، ويسهل عملية نشر روائعه وتعريف الناس بها على اوسع نطاق ، وفي هذا انصاف له بعد سنين طويلة من الاهتمام المفروض عانى منها الكثير من الاستخدام لاغراض غير أدبية أو فنية كما ذكر مسبقا .

٦ - توفى محررها دينيس جونسون - ديفيز المعروف باطلعه على
على الادب العربي الحديث ، وتمكنه من اللغة العربية
 بشكل خاص . وربما كان من المفيد في هذا الموضع الاشارة الى أن السيد جونسون ديفيز قد ولد في كندا عام ١٩٢٢ ، والى انه درس العربية في (**مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية**) جامعة لندن ، ثم في جامعة كامبريدج . والى انه عمل بعدها في القسم العربي لهيئة الاذاعة البريطانية لعدة سنوات ، لينتقل بعد ذلك الى القاهرة ويحاضر في جامعتها ، ثم ليعمل مديرا لاحدى محطات الاذاعة العربية في الخليج العربي ، وهو يقيم منذ فترة في القاهرة . ويجمع السيد ديفيز الى جانب الاهتمام بالدراسات العربية الحديثة والادب العربي الحديث ، اهتماما اخر بالدراسات الاسلامية بشكل عام وبالحدوث النبوي بشكل خاص حيث ترجم مجلدا من الحديث النبوي الشريف .

صدر من هذه السلسلة ما يقرب من بضعة عشر كتابا من ابرزها :

١ - مصير صرصار ومسرحيات اخرى للحرية لتوفيق الحكيم
 من ترجمة دينيس جونسون - ديفيز .

٢ - رواية نجيب محفوظ « زقاق المدق » من ترجمة تريفر لوغسيك

- ٢ - قصص عربية حديثة من ترجمة واختيار دينيس جونسون ديفيز .
- ٤ - رواية الطيب صالح « موسم الهجرة الى الشمال » من ترجمة دينيس جونسون - ديفيز .
- ٥ - رواية توفيق يوسف عواد « طواحين بيروت » من ترجمة ليسي مكلوخلين .
- ٦ - شعراء عرب محدثون من اختيار وترجمة وتقديم عيسى بلاطة .
- ٧ - قصائد مختارة لـ محمود درويش من ترجمة دينيس جونسون - ديفيز الذي اختار لها عنوان « موسيقا اللحم البشري » .
- ٨ - قصص مصرية قصيرة من جمع وترجمة دينيس جونسون - ديفيز .
- ٩ - رواية نجيب محفوظ « ميرامار » من ترجمة الدكتورة فطمة موسى محمود .
- ١٠ - « أرخص الليالي » لـ يوسف ادريس من ترجمة وديدة واصف .
- ١١ - « رجال تحت الشمس » لـ لسان كنفاني من ترجمة هيلاري كيلباتريك .
- ١٢ - « عرس الزين وقصص أخرى » للطيب صالح من ترجمة جونسون - ديفيز .
- ١٣ - « تلك الرائحة وقصص أخرى » لصنع الله إبراهيم من ترجمة جونسون - ديفيز .
- ١٤ - الرجل الذي فقد ظله لفتحي غانم من ترجمة ديزموند ستوارت .
- ١٥ - أولاد حارتنا لنجيب محفوظ من ترجمة فيليب ستوارت الذي اختار لها عنوان « أولاد الجبلوي » .

- ١٦ - **الايام - الجزء الاول - لطفه حسين** من ترجمة ا ، ه ، باكستون الذي اختار لها عنوان « **طفولة مصرية** » .
- ١٧ - **شاعرات الوطن العربي** من ترجمة كمال بلاطة وتحريره .
- ١٨ - **مسرحيات مصرية ذات فصل واحد** اختارها وترجمها دينيس جونسون - ديفيز .

ونظرة سريعة الى هذه الاعداد تظهر بشكل واضح كيف ان النشر القصصي ، سواء اكان قصة قصيرة ام رواية ام سيرة ذاتية يكاد يظفر بنصيب الاسد من اهتمام السلسلة ، فقد خصص له ثلاثة عشر كتابا ، بينما لم يظفر المسرح الا بكتاب واحد ، والشعر الا بثلاثة كتب . والحقيقة ان الرواية تأتي في المقام الاول ، تليها القصة القصيرة ، فالشعر فالمسرح فالسيرة الذاتية . وربما كان السر في ذلك هو كون انواع النشر القصصي من الانواع الادبية الحديثة التي اقتبسها العرب عن الغرب . كما انه يمكن ان يكون مؤشرا على حجم هذه الانواع واهميتها في الادب العربي الحديث بشكل عام . اضافة الى ان فن القصة بما يتضمنه من عناصر السرد والعقدة والتحليل النفسي والايهام بالواقع وغير ذلك يظل يحتفظ بالقدرة على استشارة فضول القراء حتى بعد الترجمة ، في حين يظل الشعر بحاجة الى نوع من الاحاطة بثقافة الامة وتقليدها وتراثها ، لانه يكاد يكون منغمسا في كل ذلك .

اما المسرح فانه يكاد يكون بالنسبة الى الاوربيين عروضاً تقدم وتشاهد اكثر منه نصوصاً تقرأ وتطالع ، وليس من قبيل المبالغة الزعم بأن اغلب القراء يعمدون الى قراءة المسرحيات قبل مشاهدة احد عروضها ، او للدراسة والمتابعة اذا ما كانوا معنيين بشكل او بآخر بهذا المؤلف او ذلك . وربما كان هذا من الاسباب التي حدث بالمحرر الى اختيار توفيق الحكيم ليكون من بين المسرحيين العرب الذي يمكن ان يترجموا للقراءة وليس للعرض . فنتاج الحكيم المسرحي في جملته - فيما يبدو للبعض - اصح للقراءة منه للاخراج والانتاج .

ورغم ان هذه الاعداد الثمانية عشر لا تكاد تقدم مسحا كافيا وممثلا
للادب العربي الحديث - فهي تهمل على سبيل المثال المغرب العربي والعراق
 وسوريا والجزيرة العربية - الا انها من جهة اخرى تحاول ان توسع من
مساحة اهتمامها لتشمل الوطن العربي كله . فثمة اعمال من القطر العربي
 المصري ، والسوداني ، واللبناني والفلسطيني . وربما حملت الاعداد
 القادمة نماذج من الاقطار العربية الاخرى .

وبالطبع فان اثاره مسألة ضرورة توسيع دائرة النتاج المترجم لتغطي
 جميع الاقطار العربية ، لا تعني عدم تفهم الصعوبات التي يواجهها
 المترجمون بدءا من اختيار المادة ، الى ترجمتها واخراجها بشكل يظهر
 بقبول قارئ اللغة الانكليزية ويستجيب **لحاجاته الفنية واهتماماته**
 الانسانية . ولكن يبدو لي ان **مسألة الوحدة الثقافية التي يتلخصها أي**
 دارس للتراث العربي العريق الذي خلفه اجدادنا العرب ينبغي التأكيد
 عليها من خلال اعطاء بانوراما تظهر هذه الوحدة في الادب المعاصر رغم
 الكثير من الحواجز السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الموجودة
 بين الاقطار العربية والتي يقف وراءها اناس لا تخفى اغراضهم وهوياتهم
عن المرء .

ومهما كان للمرء من تحفظات وملاحظات ، فان السلسلة تبقى من
 المؤشرات الايجابية الهامة على تطور الاهتمام الاوربي بالادب العربي والتي
 ينبغي تشجيعها ومؤازرتها بمزيد من الاسيانات العربية في الاختيار او في
 الترجمة . فالادب سفير يمكن ان يقرع كل باب ، ويجتاز جميع الحواجز
 وخفراء الحدود . وكم نحن بحاجة الى سفير من هذا النوع اذا ما شئنا
 ان نستعيد حضورنا القديم ، ونحس الانتماء الى عصر لا نكتفي فيه
 بالعيش عالة على الاخرين .